

رووس الآخريه

بقلم : مازيل أميه

نقاهها عن الفرنسية : الدكتور سهيل إدريس

لا تزال مسرحية «رووس الآخريه» تمثل على بعض المسارح الفرنسية ، ولا تزال تثير ضجة كبرى في اوساط القضاة و اوساط الشعب على حد سواء . وقد اقيمت الدعوى على مؤلفها حين عوزت للمرة الاولى منذ سنتين بحجة انه يسيء الى سمعة القضاء الفرنسي ، ولكن لم يحكم على المؤلف بشيء ، لأنه لم يتهم أحداً بالذات . وهذه المسرحية الرائعة تفضح الضمير المزيف في بعض رجال القضاء الفرنسي وتحدث عن الفضائح التي تقع في تلك الاوساط . واذا كان في فرنسا بعض الاحرار الذين لم تفسد السياسة ضمائرهم ، فان فيها كثيرين من الذين أصبحت ضمائرهم مدخولة ، ولا سيما اذا واجهوا قضايا الشعب العربي في الجزائر . وبالرغم من ان هذه المسرحية تتناول القضاء الفرنسي ، فاننا نستطيع ان نتخيل منها بعض الضمائر الفرنسية التي زيفتها النزعة الاستعمارية . وهذا هو الفصل الاول من هذه المسرحية :

رينيه (مقبلة جوليت) - يا عزيزتي المسكينة ، اية حاله نفسية تعانين الآن ! جوليت - آه ! لو كنت تعلمين ! بعد الظهر ، لم اكن اتماسك على قدمي ، حتى اذا بلغت الساعة السابعة ، كانت الحياة قد تقلصت عني . رينيه - انك يا عزيزتي تبالغين في جلب الهموم لنفسك .

لويس - لن يحدث شيء ذو خطر ، حتى ولو افترضنا اسوأ النتائج .

جوليت - اعرف ذلك ، فانه ينبغي لي الا افكر به ، ولكنني لا استطيع . لقد كان فردريك يعلق على هذه القضية أهمية كبرى ، وكان شديد الانشغال بها ، حتى اني لم اكن استطيع اذا نفسي ان افكر بشيء آخر .

لويس - انك لتبالغين في الاهتمام بهذا الأمر .

جوليت - ذلك ان اخفاقاً يصيبه ، يوشك ان يلحق الأذى بسمعته وعمله . لويس (متشككاً) - اوه ! تعلمين ان سمعته وعمله ...

جوليت - مزاجه ، على اي حال . إنه بحاجة الى النجاح كي يشعر بالسعادة . (ملففتة الى الروان) كلا ، ليس هو أباكم ! ناموا يا أعزائي ، ان الوقت متأخر جداً ، وانا أعدكم بان يدخل عليكم البابا ليقبلكم حالما يعود .

لويس - اني واثق بفردريك . كوني على يقين من انه سيعرف أن يفيد من الوضع خير إفادة ، وثقي ، يا عزيزتي جوليت ، ان زوجك سيكون

الحادث يجري في «بولدافيا»

قاعة استقبال النائب العام مايار . في الداخل ، نافذة كبيرة ذات اربعة مصاريع ، اثنان منها مشقوقان . من ناحية الخديقة ، جانب من رواق غير مغلق يفضي اليه بواسطة درجتين . ومن جانب الساحة ، باب . مقاعد مختلفة ، طاولات ، بيانو . تمثال نصبي لمونتسكيو قائم على قاعدة .

المشهد الأول

جوليت مايار ، امرأة في الثلاثين ، باهتة الهيئة ، من غير أناقة . تذرع القاعة وتنظر الى ساعتها . الخادمة بييريت تدخل رينيه اندريو ولويس اندريو وهما بلباس المدينة) .

رينيه - جوليت ، ما كانت النتيجة ، يا عزيزتي ؟

جوليت (هابطة الدرج) - لا شيء ! انه لم يخبرني بعد .

لويس - ليس في ذلك ما يدعو الى القلق . فانه يحدث احياناً ان تمتد المناقشات حتى منتصف الليل . تذكرني قضية «لوموان» .

جوليت - اني اذكرها ، ولكنه يومذاك خابرتني في فترة رفع الجلسة . اما هذه المرة ، فلعله لم يستطع ان يتصل بي ، او لعله ، بكل بساطة ، قد نسي .

لويس - بالطبع كان موقفه قوياً . ولا بد أنك تصرفت بالقضية تصرفاً بارعاً .

مايار - الحق اني كنت خائفاً . وقد حسبت عشرين مرة ان المتهم قد أنقذ رأسه . لقد شعرت بأنه يفلت مني ، يتسلل بين أصابعي . ولكنني كنت اوفق كل مرة الى القيام بالضربة التي كانت تعيده الى الخطيرة .

لويس - حظيرة العدالة ! (يضحكون)

مايار - ولكن اسوأ ما في الأمر ان هذا الحيوان كان يوحي بالود . وليس هناك ما هو أشق من ذلك على نائب عام ، ولا أخطر . انه لم يكن مطلقاً ذلك الوحش الذي كنا ننتظر رؤيته . بل لقد كان عكس ذلك تماماً .

لويس - ما مهنته في الحياة ، مهتمك هذا ؟

مايار - انه عازف جاز .

لويس - آه ! حقاً !

مايار - تصور قتي في الخامسة والثلاثين ، ذا مظهر متميز بالرغم من مهنته ، ووجه حيوي يتنافس الصراحة والشرف ، ونظر ذكي ، وحركات رشيقة وطلاقة في اللسان ، وصوت مرتعش أحياناً ، جذير به ان يهز النفس . رينيه - وهل كان جميلاً ؟

مايار - لا بأس . والى ذلك ، حظ من الأذاقة في الملابس ، ورشاقة مهملة بعض الشيء .

جوليت - وهل كان في عداد اعضاء المحكمة نساء ؟

مايار - اثنتان .

جوليت - اذن ، فقد كان كل شيء ضدك حقاً !

مايار - بوسعك ان تقولي ذلك . وحين كان المتهم يعلن برأته ، كنت أشعر بان القاعة تنحاز اليه ، بل المحكمة والرئيس . وعند ذلك كنت ارفع عقيرتي وأعيدة الى الجدار : « اين كنت مساء اول حزيران بين الثامنة ومنتصف الليل ؟ »

لويس - حقاً ، اين كان بين الثامنة ومنتصف الليل ؟

مايار - في بيت ضحيته ، من غير شك ! على انه يزعم ، هو ، انه قضى الامسية في فندق بسحبة امرأة مجهولة . وقد كان هذا امرأ مضحكاً ، بالنسبة لقضية التبرير ، ولكنه كان يؤكد ذلك بطريقة كان اعضاء المحكمة يهزون لها . وأخيراً ، ارتد الود الذي كان يوحيه الى نحره ، وأن فضل ذلك عائذ اني .

رينيه - وكيف بلغت ذلك ، يا ساحري العزيز ؟

مايار (مستعيداً لهجة الخطابة في المحكمة) - سادتي القضاة ، ان امامكم قاتلا ليس اخطر سلاحه السكن او المسدس ، بل هذا الود الذي يوحيه ... (مغيراً لهجته) ما تقولون في ان نتحدث حديثاً آخر ؟ ليست بي رغبة ، مهما كان الأمر ، ان اعيد المحاكمة وحدي .

لويس - يا للخسارة !

جوليت (ملتفتة الى الرواق) - نعم يا اعزائي ، لقد عاد البابا ... إنه هو الذي سيخبركم ذلك . (لمايار) انهم الاولاد . وهم لا يستطيعون النوم . اذهب فقبلهم وانبئهم النبأ السعيد . وما اشد ما سيفرحون !

مايار (متوجها الى الرواق) - يا احبائي الصغار ! عند الظهر ، استوعديني « الان » ان أحل له رأس المتهم !

(الجميع يضحكون . يرقى مايار الدرجتين المفصيتين الى الرواق)

جوليت (لمايار) - لقد قضاوا الامسية كلها وهم يحكم بعضهم على بعض بالاعدام !

(ضحكة متلطفة من مايار الذي يختفي في الرواق)

عما قريب احد مشاهير الرجان المرموقين في بولدفيا .

جوليت - ان هناك كثيراً من المصادفات والعناصر غير المتوقعة التي قد لا تكون في صالحه ! جو القاعة ، او اعضاء المحكمة ، او مزاج الرئيس ، او تردد شاهد ، ما يدريني ؟

رينيه - اما انا فلست قلقة . ان زوجك يعرف ان يفيد من كل شيء ، حتى من غير المتوقع . انه يملك عقلاً منظماً .

جوليت - انه هو ... فانا اسمع وقع خطاه ... يا إلهي ، شرط ان يحمل نبأ سعيداً ؛ لم يتفق لي يوماً ان شعرت بمثل هذا القلق وهذا الضيق .

المشهد الثاني

(يدخل فرديريك مايار من باب الساحة حاملاً محفظة جلدية . انه رجل في الثامنة والثلاثين . تتقدم جوليت ورينيه ولويس للقائه .)

لويس - اي نبأ تحمل لنا ؟

(يهز مايار رأسه بكآبة)

رينيه - قضي الأمر . لا بد ان فالورين ، هذا الحيوان ، قد انقذ نفسه . جوليت - لقد حدثت بذلك .

لويس - يا عزيزي المسكين . إذن ، لا ؟ لم تسر القضية حسب مراملك ؟ مايار (ينفجر ضاحكاً ، ويقبل على جوليت بهيئة المنتصر) بلى ، بلى ! قد سارت الأمور على ما يرام ، ما دمت قد استصدرت حكماً على صاحبنا هذا .

لويس - أصحيح ما تقول ؟ حكم بالأشغال الشاقة ؟ مؤبد ؟

مايار - ابدأ . بل هو حكم بالأعدام !

رينيه ولويس (مصفقين) - برافو ! برافو ! ان هذا المدهش !

جوليت (مرتمية على عنق زوجها) يا حبيبي ! كم انا سعيدة ! لا ، انك لا تستطيع ان تتصور مبلغ سعادتني ! ليتك عرفت الضيق الذي مررت به ! كنت لا اجروء بعد على ان أمل النبأ السعيد . لقد تأخرت عودتك ، ولم تتلغن . مايار (متأثراً) - صغيرتي العزيزة (يقبل جبينها) لقد تأخر صدور الحكم ، وكان علي بعد ذلك ان اسمع الى حديث رئيس غرفة « روبيشون » الذي استبقاني عشرين دقيقة اخرى .

رينيه - وحين دخلت ، خدعتنا بهيئتلك هذه ، هيئة الدفن ، كما لو ان صاحبنا قد اخلي سبيله ! (لحظة) انه لبشع ، هذا الذي عملته ، ايها النائب العام مايار !

(تأخذ رينيه وجوليت بذراعي مايار)

جوليت - نعم ، ان هذا بشع جداً ، ونحن جميعاً غاضبون .

مايار - استميت الجميع عذراً وأعدكم الا اعود الى مثلها .

جوليت - هل نساخه ؟

رينيه - هذه المرة نساخه لأنه رجل فريد ، عظيم ، عبقرى !

لويس - اصارحكم بأنني لم أكن انتظر حكماً بالموت .

مايار - بكل صراحة ، أنا ايضاً لم اكن أتوقع ذلك . صحيح ان في القضية جريمة ذنبية : فان صاحبنا قد قتل امرأة مسنة بقصد سرقتها ، ولكن لم يكن هناك ، بعد كل حساب ، دليل حاسم . كان هناك بالاجمال باقية من القرائن الخطيرة ، ولكنها ليست مع ذلك الا قرائن . ان آثار الأصابع ، التي هي آثار اصابعه دون شك ، لا تشكل دليلاً كافياً . لهذا كان مجال الدفاع متسعاً . وقد قال المعلم « لانكري » : ليس لديك الا يقين معنوي . وقد كان هذا صحيحاً ، آخر الأمر .

المشهد الثالث

جولييت (مبتسمة) - آه ! احسن اني ولدت فجأة من جديد !

لويس - : انك تشهين فتاة تكشف عذوبة الحياة .

رينيه (لوييس) - لست انت الذي توفر لي ابدأ فرحة كهذه .

لويس - اوه يا عزيزتي ، اني امين متحف « لوغرين » ، وليس باستطاعتي ان امر بقطع رأس أحد .

رينيه - ان تكون المرأة زوجة رجل ينصرف بحياة الآخرين ، لابد ان يكون هذا شيئاً لذيذاً !

جولييت (بالهجة ينفذ منها الغرور) - انا لست ادري ان كانت جميع نساء النواب العارمن مثلي ، ولكني استطيت ان اقول اني اعيش حقاً جميع قضايا فردريك . فهو طوال الوقت الذي يعد فيه مطالعته ، منهمك ، متوتر الاعصاب

سريع الغضب ، بحيث اشعر اني انا بالذات مسؤولة عن مصير القاتل .

رينيه - طبعاً . فان زوجك انت يجعلك تشعرين بالانفعالات .

جولييت - وحين تأتي نهاية الحكم ، فأية راحة واي انبساط ! لا سيما حين تمرره السعادة كما هو شأنه هذا المساء . انا اشعر بأني خفيفة ، وان بودي ان اتسلى ... بل الحق ان بودي ان ارقص .

رينيه - سيسمح لك بكل شيء في هذا المساء . (تذهب الى البيانو) ان لويس راقص رديء ، مع الأسف ... وهو لا يزال على كل حال عند حد «التانغو» الذي كان يرقصه آباؤنا .

لويس - لا تصدقها . ان مهنتي تورث لديها بعض الماراة . اني ارقص كالجنية .

(توقع رينيه بعض انغام التانغو . ترقص جولييت ولويس خطوتين او ثلاثاً)

المشهد الرابع

(تفتح بييريت الباب الأيمن وهي تنظر ببسمة متوددة الى جولييت ، وتفصح الدخول للنائب العام « برتوليه » وهو رجل في الخامسة والخمسين)

برتوليه - اين هو المنتصر ، حتى أضمه بين ذراعي الاخويتين ؟ (لجولييت) مساء الخير ... (يتناول كفيها الاثنتين) ايها الزوجة السعيدة !

(لرينيه) ان عينها الجميلتين نديتان بالفرح والفخر (يقبل يد رينيه ويشد على يد لويس) اي نجاح هذا ، اليس كذلك ؟

رينيه - رائع ! فاتن ! انك ترى الجذل الذي نحن فيه . ولكن ما اشد الأثر الذي خلفته هذه القضية في نفس هذه العزيزة المسكينة التي كانت ترتعش هنا وهي تنتظر النتيجة !

جولييت (لبرتوليه) - انت ترى اني قد استعدت هدوئي تماماً .

برتوليه - في الواقع . ولكن ربما اتيت لأقطع لعبة صغيرة ؟

لويس - كنت اقوم باشياء مدهشة . وقد كادت جولييت تصيح من فرط الخاسة !

رينيه - اتراه قد سحق قدمك ؟

جولييت - اوه ، لا (ضاحكة) انه لم يكده يلامسها .

برتوليه - يا اصدقائي الطيبين ، اني اقترح ، احتفالاً بهذا اليوم المجيد . أن ...

المشهد الخامس

(يظهر مايار في اعلى درج الرواق)

برتوليه - أسعدت مساء ، ايها النائب العام !

مايار - أسعدت مساء ، ايها النائب العام !

برتوليه - اوه ! انني ، بعد نصرك العظيم اليوم ، لست الا نائباً عاماً صغيراً لا قيمة له ، ووكيلاً متواضعاً للسجون والزنانات . اما انت ، يا مايار ، فاي فنان تغدو !

مايار - انك تبالغ ، يا صديقي العزيز . (يظل واقفاً في اعلى الدرج)

برتوليه - أبالغ ؟ لقد خرجت ، بين جلستين ، استنشق هواء القاعة مدة خمس دقائق . وفي هذا الوقت بالذات ، كنت تخم مراعتك ، وما كان

اروعه ختاماً ! اي ايجاز ، واي عنف ، واية قوة ! كانت كل كلمة من كلماتك مصوبة الى هدف ، حتى ان اعضاء المحكمة انقطعوا عن التنفس ،

واذا القائل يتقلص على مقعده . اما انا ، فإلقد استخفت ببني الهامة ، وأجهدت نفسي حتى لا اصفق .

مايار - اجل ، احسب ان ختام مرافعتي قد آتى ثمرته .

اويس - صحيح ، ينبغي الإيمان بأنه آتى ثمرته .

برتوليه (بجد) قل يا مايار . ان هذا هو رأسك الثالث . فكر بهذا ماياً يا عزيزي . رأسك الثالث ، وافت ما زات في السابعة والثلاثين من عمرك .

ما اروع هذا !

مايار (مبسماً بتواضع) - اوه ! انت تعلم ...

برتوليه (ملتفتاً ، الى الآخرين) - يبدو انه يجد هذا امرأ طبيعياً جداً .

رينيه - انه ساحر ..

برتوليه - اتراك ستقول لي انك لست مسروراً من نفسك ؟

مايار - اوه ، لست غير مسرور .

برتوليه - إنك لتقول ذلك بكل بساطة . ولكن يا عزيزي ويا زميلي المحترم ، يابوح أنك تجهل أنك أصبحت منذ الآن رجلاً من ألمع رجال قصر

العدل ، أجل ، بكل تأكيد . وإن إعلان دعوى يجلس فيها النائب العام مايار في مقعد النيابة العامة ، يجذب جميع سكان العاصمة الى المحكمة . وأي عجب

في ذلك ؟ ثلاثة رؤوس وأنت لما تنزل في السابعة والثلاثين !

مايار (ضاحكاً) - اراك نسيت الأربعة الذين أمرت باطلاق الرصاص عليهم عام ١٩٤٥ .

برتوليه - لا ، يا عزيزي مايار ، أنا لا أنسى شيئاً . ولكنني معجب بك إلى درجة أنني لا أستطيع إلا أن أكون صريحاً وصادقاً معك . إن هؤلاء الأربعة ، كانت قضيتهم مطبوخة .

مايار - وإن يكن ...

برتوليه - ولكنن محقين يا مايار . كانت الأمور مرتبة آنذاك . ولم تكن مطاعانك إلا لإنجاز الشكليات . على أنك مقابل ذلك ، قد تجاوزت طاقتك

كلها في فضيحة إجازات التصدير ، وسأظل مقصراً في التنويه بذلك ، مهما رفعت صوتي .

مايار - اجل ، لقد تصرفت بتلك القضية تصرفاً طيباً . ولكن أحسب أننا تحدثنا أكثر مما ينبغي عني . ينبغي أن نتحدث أيضاً عن البراعة المدهشة التي سححت بها بين صحخور فضيحة « بطاقات الشراء » .

برتوليه - لقد هناؤني كثيراً على هذه القضية . ولكن أظن أنني خضت واقف أشد خطورة ودقة .

مايار - مهما يكن ، فتللك كانت قضية عظيمة .

برتوليه (مبتسماً) - قل لي ، يا مايار ، لم تكن تملك بعد ظهر هذا

يوم أدلة كافية ؟ أليس كذلك ؟

مايار (يبتسم بتواضع) - فعلت ما أستطيع أن أفعله .

رينيه - إن زوجك مدهش . تعال نقبلك ، أيها الرجل العظيم العزيز .

المشهد السادس

(تدخل بييريت من الرواق ، فتبدو عليها الدهشة ان تجد القاعة خالية .
وتلاحظ البيانو مفتوحاً فتوقع عليه باصبع واحد لحن « احذر ايها البرج »
وحين يعود مايار الى القاعة ، تنقطع عن العزف وهي مزعجة .)
بييريت - اوه ! المذرة .. حسبت انه لم يبق ثمة أحد ...
مايار - لقد اصطحب السيد برتولويه الجميع . هل نام الاولاد ؟
بييريت (متجهة الى الباب) - نعم ... لقد سرني ان الأمور جرت وفق
مرام سيدي .
(يسمع طرق على الباب)
مايار - ادخل .

المشهد السابع

(تدخل روبرت برتولويه في زينة المدينة ، انها امرأة جميلة في الثلاثين ،
تشبه فرساً عصبية وحية ، ندية العين ، خفاقة الصدر . تحيي بييريت ببسمة
واختفاء رأس .)
(تخرج بييريت)

مايار - كيف لا تعرفين اين هم ؟ إنهم في بيتك ! بل انه ليدهشني انك
لم تلتقي بهم .

روبرت (تنظر لتتأكد ان بييريت قد خرجت) - ولكن بلى ، لقد
التقيت بهم . فحين عدت الى البيت ، علمت ان نائبي العام ، زوجي ، كان
عند نائبي العام ، مايار ، فخرجت وبلغت حديثك حين كانوا خارجين .
واذ ذلك اختبأت خلف شجرة الزيزفون ، وتركهم يمرن . (تضحك) هل
انت مسرور بان تراني وحدي ؟

مايار - مسرور جداً .
روبرت - لا يبدو عليك ذلك . بل يلوح ان هموماً تشغلك .
مايار - هموم ، انا ؟ كل ما في الأمر ان عندي بعض أعمال تحتاج الى
انجاز بالنتفون ، ولهذا ترينني ما زلت هنا .
روبرت - اعمالك هذه ، تنجزها غداً .
مايار - لا ، إنها امور هامة .

روبرت (فاتحة ذراعها كما لو انها تستسلم اليه) - وهذا ، اليس امرأ هاماً
مايار - لماذا لم تأتي الى المحكمة بعد الظهر اليوم ؟ لقد وعدتني مع ذلك
بان تأتي .

روبرت - نعم ، كانت هذه رغبتني ، ولكنني حين وصلت الى قصر العدل ،
طويت كشحاً . كنت في حالة من الهياج والضيق ؛ كنت مزعجة .
مايار - انا لا أعهدك حساسة الى هذا الحد .

روبرت - لقد فكرت كثيراً بهذه الدعوى ، بل انا بالغت في ذلك بالتأكيد
فانتهى بي الأمر الى ان اعلق عليها أهمية كبيرة جداً ، في حين ان القضية هي
في صميمها قضية تافهة .

روبرت - نعم ما فعلت .
مايار - وكان من شأن ذلك اني كنت افقد خيط خطابي ، وكنت اتردد ،
فكان المنهم ينقد رأسه بين وقت وآخر ، بفضلك انت .

روبرت - لو حدث ذلك ، ما كنت اغفره لنفسي ابداً . ومن حسن الحظ
انك لم تخمريه ! (تضحك) اوه ، نعم ، من حسن الحظ ، من حسن الحظ !
(ضحكة طويلة تثير القلق)

مايار - روبرت ، ما بك ؟

مايار - إن هذا أمر يعبر عن رغباتي .

لويس - رغباتك ؟ خنزير !
(يضحك لويس ، والجميع ينفجرون بالضحك . تدخل بييريت من
باب الساحة)

بييريت - هل استدعتني السيدة ؟
جولييت - كلا ، يا بييريت ، كلا ، ولكن ما دمت قد أتيت ، فاذهبي
واللقي نظرة على الأولاد .
(بينما تدلف بييريت إلى الرواق ، يهبط مايار الدرج . يقبل رينيه ،
ثم جولييت)

رينيه - إنها أعذب جداً ، ما كنت أظن ، قبلة من نائب عام !

جولييت (لمايار الذي ما زال يعانقها) - هل كان الأولاد مسرورين ؟
مايار - إنكم لا تتصورون مبلغ فرحة هؤلاء الصغار . إنهم حين علموا
أني حصلت على حكم الإعدام ، قفزوا من أسرهم ليتعلقوا بعنقي . وكانت
قبرة صراخ وضحك وأسئلة . وطالبي « جانو » برأس المجرم ، وكان
يتمتد حقاً أني حملته معي إلى البيت . (ضحك عام) .

مايار (متفعلاً) - يائلك النفوس الصغيرة العزيزة !
جولييت (تحني رأسها على كتف مايار -) إنهم في الحق أطفال على غاية
العذوبة والحساسية .

برتولويه (مشيراً إلى مايار وجولييت) - ما أجلها لوحة ! حين عساد
المنتصر إلى بيت الأسرة ، وجد الرفيقة الأمينة العطوف التي تعلم جيداً أن
الحب يفيد دائماً من النصر ... لا سيما حين يستطيع أن يعزبوت إنسان ،
أليس كذلك ؟ (ضحك متحفظ)

جولييت (ضاحكة) - اسكت ايها النائب العام . انك رجل رهيب !
برتولويه - وانك انت لأسعد النساء . ولكن اقبلوا ، يا اصدقائي ، ان
نشارككم فرحكم . منذ لحظات ، حين طلعت علينا من أعلى هذا الدرج ، ايها
العزیز مايار ، كنت أتيتاً للقيام بعرض ، او باخطار ، فقد أمرت باعداد
عشاء في البيت احتفالاً بالحدث المجيد . فانا ادعوكم انتم الأربعة .

جولييت - اي لطف هذا ، واية مفاجأة جميلة !
رينيه - سندير الحاكي ، وسأرقص مع بطل اليوم !
برتولويه - نعم سترقصين . وسنرقص .
مايار - انك ملاك يا برتولويه . ولست ادري كيف اشكر لك هذه
الصداقة كلها .

جولييت - هذا هو اذن السبب في ان « روبرت » لم تصحبك ! ان المسكينة
تعد العشاء .

برتولويه - روبرت ؟ ابدأ . لقد ذهبت الى « كوكتيل » لا ادري اين يقام
ولعلها لم تعد بعد . هيابنا بسرعة . انكم جائعون وعطشى . فلنذهب .
جولييت - هل أضع قبعة ؟

برتولويه - لتسيري مئتي متر في شارع مقفر ليلاً ؟ كلا ... تعالي هكذا .
مايار - سألحق بكم بعد عشرين دقيقة . ان لدي عدداً من الأشغال
سأقضيها بالتلفون ، واريده ان افعل ذلك هدهده .

برتولويه - حسناً . اما نحن فلنمض يا اولادي .
(يتجه الجميع الى الباب بما فيهم مايار)

رينيه (قد بلغت الباب فالتفتت نحو لويس) - لويس ، محفظتي !

لويس - انها في ذراعك ، ايها الغبية !

روبرت - لا بد أنه رجح الضيق الذي أعثراني بعد الظهر . ما كان أشدخوفي !
مايار - لا نبالغ في الأمر . انني اترك على ان تكوني قلقة بعض الشيء
في انتظار الحكم ؛ اما ان تشعرني بالخوف ...

روبرت - اجل ، خوف من ان تصاب انت بخيبة ، باخفاق من الممكن
ان يسيء الى عمك ويضر بسمعتك . وما يدريني أنا ؟ انني لست الا امرأة ،
امرأة مسكينة .

مايار - اجل النساء واشدهن تأثيراً واجدرهن بالحلب ايضاً . حبيبي !
(يود ان يجذبها اليه ، فتبعده)

روبرت - انتظر . إنك لم تقل لي شيئاً ما اود ان اعرفه . انني آتية الى
منزلك لأستشعر على جلدي ، وفي لحمي ، دفء النصر ، فاذا انت صامت لا
تتكلم . مايار ، يا نائب العام مايار ، يا نائب قاطع الرؤوس ، حدثني ...
حدثني ...

مايار - ولكن لا استطيع . غداً ، ستقرأين محضر الجلسة ...
روبرت (بصوت منغيظ) - ساقراه بالتأكيد ! ولكن ارو لي مع ذلك !
كيف كان ، هو ؟

مايار - من ؟
روبرت - المهم ! كيف كانت هيأته ؟ وعيناه ، كيف كانتا ، عيناه ؟
أكان خائفاً ، قل يا مايار ؟ أكان خائفاً حقاً ؟

مايار - اعتقد ان نعم ... ولكنه لم يظهر خظة انه خائف . فانما لم أر في
عينيه تلك النظرة ، نظرة الحيوان المطارد ، التي تبدو في عيون المجرمين في
المحاكم . لقد كان يظهر دائماً هدوء في الاعصاب واعياً ، وبين وقت وآخر ،
لونهاً من السخرية البائسة تتجه اليه هو نفسه كما تتجه للمحكمة . اجل ، هكذا
كان يبدو . فلم يكن الأمر لديه الخوف بقدر ما كان اليأس .

روبرت - اليأس ، اليس كذلك ؟ لقد كان يشعر انه هالك ، محكوم عليه ،
مخدوف .. لقد كان يرى الموت ، اليس كذلك ؟ كان يراه ؟
مايار - بل كان يراني متوتراً ، مستحراً لإهلاكه ، ولا بد انه كان ،
كلما أخذت في الكلام ، يشعر بالحياة تنقلص منه .
روبرت - حقاً !

مايار - وما زلت اذكر ملامح وجهه حين أتى ليدي بشهادته . فقال
له : « انك انت ، يا شارل ، لا تعتقد بانني مجرم ؟ » وكان في صوته لهجسة
خلقت في نفسي الاضطراب .

روبرت - ها ! لقد قال له : « انك يا شارل لا تعتقد بانني مجرم ... » ها
ها ! وحين صدر عليه الحكم ، كيف تراه قد تقبله ؟ كيف كانت هيأته ؟
مايار - في تلك اللحظة ، كنت من شدة السرور بحيث لم اعرف انتباهاً .
روبرت - آه ! لو كان في استطاعتي ان أكون هناءه ، انا . اذن لنظرت
اليه ، قاتلك هذا ، وحدقت في أعماق عينيه . ولكنك التصقت بك انت الذي
امرت بقتله (تلتصق به) يا حبيبي ، لقد قتلته ، لقد قتلته ...
مايار - يالك من مجنونة ! (يأخذها بين ذراعيه)

المشهد الثامن

(فالورين يدفع المصاريع التي ظلت مشقوقة ، ويظهر على حافة النافذة . انه
شاب في الخامسة والثلاثين ، انيق في ملبسه اناقة لا تخلو من جدة ، وتذكر
بمهمته كمازف للجواز . تبدو على وجنته مسحة من الدم الجاف . حين يقفز الى
القاعة ، ينفصل روبرت ومايار فجأة ويلتفتان اليه .)

مايار - انت ! ... انت ! ... وفي بيتي ؟

روبرت (بصوت خائف) - مايار ! مايار ! (تحاول ان تختبئ خلف
مايار)

فالورين - نعم ، انا بالذات ايها النائب العام مايار . اني انا رأسك الثالث ؟
مايار - كيف يمكن ان تكون حراً ، ومن الذي اعطاك عنواني ؟

فالورين - اني أجهل عنوانك ، بالرغم من اني الآن تحت سقفك . بل انا
عاجز عن ان اعرف ان كان الآن في « ايرويتز » او في « نوردهاوزن » او في
مكان آخر . اما بشأن ان تعرف لماذا تراني حراً ، فمما لا يحتمل الجدل اني
قد قررت .

مايار - هذا خطأ . إن القاتل لا يفر .

فالورين - انت على حق ايها النائب العام ، ان القاتل لا يفر ، ولكن
العناية الالهية هذا المساء كانت في صف القتلة . فان سيارة السجن التي كانت
تقلني ، بعد ان غادرت قصر العدل ، اصطدمت بشاحنة . وكنت الوحيد الذي
نجأ ، فوجدتني فجأة حراً . ولما كان الوقت متأخراً ، والمكان مقفراً تقريباً ،
فقد استطعت ان امضي ويدي في جيبتي .

مايار - ولكن كيف اتيت الى هنا ؟

فالورين - ذلك اني بعد ان مشيت خمسين متراً ، أصابني الذعر فأختبأت في
احدى السيارات المصطفة الى جانب الرصيف . وتلبدت في الخلف ، على
ارضية السيارة ، وانا لا اجروء على التنفس ، ولكنك وصلت ، وصعدت
السيارة ، فأخذت المقود ، وقدتني لا ادري الى اين ، في هذا الشارع المقفر .
وقد بدت لي المسافة طويلة لا تنتهي . وحين نزلت ، خاطرت بنظرة الى
الزجاج ، فرأيت انك قد تركت باب حديقتك مشقوقاً ، فدخلت وراءك .
(يضحك ضحكة قصيرة) انك ترى انني لم أضع امسيبي .
(يتلمس مايار جيوبه بجزر وينظر الى درج الطاوله)

فالورين - لا تبحث عن مسدسك . لقد تركته في احد جيوب سيارتك ،
فاستوليت عليه (يخرج المسدس من جيبه) وقد تأكدت ، بالاضافة الى ذلك ،
من انه مخشوش بالرصاص ومعد للاطلاق .

مايار - ما الذي رجوته ، وانت تدخل بيتي ؟

فالورين - لم أرج شيئاً محدداً . كنت ما ازال أجهل اسم السائق الذي ارسلته
لي العناية الالهية ، كما كنت اجهل وظيفته . ولو انني سمعت كلباً ينبج ،
لأطلقت لساتي العنان ، ولكن لم يكن عندك كلب ، والله الحمد ، وحين دلفت
الى حديقتك ، أملت بغموض ان يظل الحظ موافياً لي (ضاحكاً) . ولم يحب أملي .
مايار - ولماذا ؟

فالورين - ستفهم ذلك . فبعد ان اجزت الباب خلفك ، طفت بمقصورتك
فجذبني انوار غرفة الاستقبال ، وانما استطعت ان اضع اسماً على وجه المحسن
إلي ، حين رأيتك هنا ، في هذه الأنوار . واذن ، فقد شاهدت دفقات الفرح
التي طبعت رجوع المنتصر . وكان في ذلك شهامة وذوق ممتاز . وانا لم اتصور
قط ان موت رجل يستطيع ان يخلف جدلاً صريحاً الى هذا الحد ، ولا مزاحاً
مرحاً عزيزاً كذلك المزاح . ان ما استطعت ان افاجئه من حياتك الخاصة ، قد
اثار اهتمامي كثيراً ، ايها النائب العام .

مايار - كفي ، كفي ، اليس كذلك ؟ ! انني اعفيلك من افكارك حول
حياتي العائلية . اذهب فاشفق نفسك في مكان آخر ، وحل عن ظهري !

فالورين (بحركة خفيفة من يده التي تمسك بالمسدس) - انني افهم ايها النائب
العام مايار ان يغريك حضور صديقتك الجميلة بان تبدو بمظهر المتعالي ؛
ولكن ينبغي لك ان تدرك انني من جهتي لا اشم فيك رائحة خاصة من القداسة
والطهارة . فقد آن لك ان تطامن من تساميك .

مايار - يبدو لي انك تهددني ؟

فالورين - اما انا فيلوح لي ان ضحايا فصاحتك كانوا يكونون مسرورين بان يوقفوك عند فوهة مسدس ، كما افعل انا .

مايار (ملطفاً لهجته) - احرص على ان تفكر جيداً يا فالورين . انك اذا واجهت الموقف بحظ يسير من التبصر ، فستوافق على انك ستخطو خطوة سيئة جداً اذا شئت ان تعرض شخصي للانتقام سخيف ولا طائل تحته . ينبغي ان تذكر انك مقبوض عليك من غير شك قبل مرور اربع وعشرين ساعة . فالورين (بضحكة باردة) - اي خطر تراني اجابه ؟ فاننا محكوم علي بالاعدام !

(يلي صمت ينظر مايار في اثنائه حوله ، جازماً بريقه ، بادي الذعر)

مايار - هل دخلت الى هنا ، وعندك قصد محدد ؟

فالورين - نعم . على اني ، منذ لحظات ، جين اصطحب النائب العام برتوليه زوجك واصدقاءه ، كنت مزعماً الا امكث هنا الى الأبد . لم اكن انتظر الا ذهابك ، لأمضي بدوري . ثم رأيت هذه الساقطة تدخل .

مايار - ان من يمسك بيده مسدساً ، يستطيع ان يسمح لنفسه باطلاق جميع الشتمات والسفاهات . فانها لا قيمة لها .

فالورين - حين كنت تصفعي ، امام المحكمة ، بالوحش المرثي ، وحين كنت تهمني بانني اعمل في اعماقي أخس الغرائز ، كنت انت أيضاً تنعم بالقوة المسلحة . ولكن الفرق انك كنت تتكلم هكذا بالمصادفة ، من غير ان تكون واثقاً ببدأ من الحقيقة ، لأنك كما قال النائب العام برتوليه ، وكان على حق ، لم تكن تملك ادلة كافية . اما انا ، فاني حين اؤكد ان هذه المرأة ساقطة ، فانما اقول ذلك لأنه واقع .

مايار - روبرت ، انك لن تسمعي اطول مما سمعت سفاهات هذا الرجل فأرجوك ان تغادري هذه القاعة وتركيني وحدي معه .

فالورين (رافعاً يده التي تمسك بالمسدس) - حذار من ان تفعل ذلك . لقد كنت شديد الرغبة في مثل هذا اللقاء ، فلن اقبل ان ينتهي هذه النهاية السريعة . وانا ايضاً ، بحثت عنك بنظري في اثناء المناقشات ؛ وانا ايضاً التفتت غير مرة الى القاعة ، املا في ان اراك وسط الحاضرين .

روبرت - ان تراني انا ؟ انك حقاً لمجنون ، فاننا لا نعرفك .

مايار (لفالورين) - انك لا تدرك بعد ما تقوله يا فالورين ، لقد أضعت رشذك .

فالورين - لا ، لم أضعه بعد ، (لروبرت) نعم ، حتى آخر لحظة ، أملت ان اراك تبرزين على المنصة لتشهدي براءتي .

روبرت - ولكن ، ما شأنك بالشهادة ؟ اني لم ارك من قبل اطلاقاً !

فالورين - انك تكذبين ببراءة ، ولكنك لن تكذبي طويلاً .

مايار - هيا ، لننته من ذلك ! لأن كنت قد دخلت منزلي لتحصل على مال فلنصف القضية ولترحل بعد ذلك .

فالورين - انت ، انصحك الا تتدخل في حديثنا . (لروبرت) آه ! لقد حرصت على الا تحضري المحاكمة . لعلك خشيت ان تضعني فتستسلمي لنازع من شرف او تسامح اذ ترينني على مقعد المتهمين ؟

روبرت - ليس لكلامك اي معنى . اكرر مرة اخرى اني لا اعرفك .

فالورين - بكل تأكيد . فاننا لم اكن بالنسبة لك الا خليلاً عابراً . اما اليوم فان القضية قضية حياة رجل .

مايار - آه ! انك هذه المرة تتجاوز الحد يا فالورين . فاننا لا اعترف لك بحق ...

فالورين - آه ! حل عني انت والحق . حسبك ما تحدثت عنه في المحكمة ...

مايار - ان ما لا أقبله ...

فالورين (متحجماً الى مايار وحاملاً اياه على التراجع) - ماذا ، ماذا ، ما الذي لا تقبله ؟ ان لا يدعي قاتل حكمت عليه بالموت انه ضامع خليلتك ؟ ينبغي لك ايها النائب العام مايار ، ان تقر هذا ، مع ذلك .

روبرت - هذا كذب ، كذب وهتان . فليس هذه الحكاية رأس ولا ذنب .

مايار (بعنف) - أسمع ؟ تقول ان ذلك كذب !

فالورين - يا للوقاحة ! ان عليك انت ، ولست غريباً عن المهنة ، ان تعرف قيمة مثل هذه الانكارات . اليس كذلك ؟

روبرت - هذا كذب .

مايار - بكل تأكيد ، ياروبرت ! فلا حاجة بك اذن الى ان تدافعي عن نفسك . (لفالورين) اما انت ، فان كذبك في نظري ، انا صاحب المهنة قضية مضحكة تقريباً .

فالورين - حقاً ؟ اني اهنتك ايها النائب العام ، ولكن اذا كنت اكذب ، فمن اين لي ان اعرف ان علي الحاصرة اليمنى من جسم هذه المرأة ندية ، وكذلك في موضع كليتيها ؟ ومن اين لي ان اعرف ان تحت نهداها الأيسر بقعة من القهوة ؟ مايار (منتظراً جواباً لا يأتي ، يلتفت الى روبرت) - روبرت ! ولكن قولني شيئاً ، تكلمي !

روبرت - اني لا اعرف هذا الشخص ، وليس لي ان اجيب على تهمة سخيفة كهذه . ثم اني لا افهم ان تدع هذا القاتل ان يلطخي هكذا .

مايار - تعلمين جيداً يا روبرت اني لا اطلب الا ان اصدقك . ولكن هناك واقعة . مع ذلك . فكيف يعرف فالورين هذه التفاصيل لو لم يرها ؟

روبرت - آه ! ولكن ما الذي تريدني ان اقله ، انا ؟ است ادري ... ربما سمع احداً يبكاهم عنها ...

فالورين (مبسماً) - ربما من اصدقاء ؟ والقبعة « الازامية » المزدانة بريشة ، والثوب الأسود المطرز بزهرة كبيرة خراء ، اتراني سمعت من يتكلم عنها ايضاً ؟ وتحت الثوب ، الطاق واربطة الساق السوداء المخططة بالأصفر التي تجعلك تشبهين الدبور ؟ ومن يدري ، فغلك ما تزالين تحتفظين بها الآن ؟ (يرفع ثوب روبرت ، ويكشف عن اربطة الساق)

مايار (بعد صمت ينظر في اثنائه الى روبرت ، يسأل بصوت جاف) - واذن ؟ الاتجدين ما تجيبين به ؟

روبرت (بخدة) اي نعم ! لقد كنت خليلته ذات مساء . وماذا في ذلك ؟ انه حقي . وليس علي ان اودي حساباً عن مسلكي . ثم اية علاقة لذلك بالجرمة فالورين - علاقة بسيطة في التواريخ . ففي ذلك المساء ، مساء الجريمة ، الذي صادف اول حزيران ، قلت لي ان زوجك كان في مرسيليا ، وانه عائد صباح اليوم التالي . هل يسافر النائب العام برتوليه كثيراً ؟

مايار (لروبرت) - كنت معه . ولقد أفدت من غيابي ، اليس كذلك ؟ لقد أفدت من غيابي ؟ آه ، ما كان أغبائي !

روبرت - احتفظ بلومك . ان عندي شيئاً آخر عمله غير الاهتمام بخيبتك العاطفية ، واذا كنت تحبني حقاً ، فأحرى بك ان تفكر اولاً بهذه القرميدة التي تسقط على رأسي .

(يظل مايار مهوئاً ، ويذرع القاعة جيئة وذهاباً)

مايار (لفالورين) - حقاً ، ما دمت مساء يوم الجريمة بصحبة هذه المرأة فلماذا لم تذكرها من الشهود ؟ انك بذلك تملك تبرئتك العتيقة .

فالورين - ايها النائب العام مايار ، منذ حين كان ذهنك أظن واسرع بدهاة حين كانت القضية ان تحصل على رأسك الثالث . كان عليك ان تفكر

بأنني ان لم اطلب خليلتك للشهادة ، فذلك لأني كنت أجهل اسمها ولأني لم اكن املك صورتها .

مايار - كيف تعارفتما إذن ؟

فالورين - على الرصيف . لقد التقيتها ، ذلك المساء ، قبيل الساعة الثامنة ، وهي تدرع جادة « مينيليا » وحيدة مترصدة . ولقد حسبنا اول الأمر بغياً . مايار - اوه !

روبرت - عديم التهذيب !

فالورين - ثم ادركت انها امرأة جميلة تبحث عن رجل للذبح . امرأة جميلة سهلة ، استسلمت لاغرائها ، وقصدنا احد الفنادق ، بالقرب من محطة « سان سيلفستر » ، فندقاً كهذه الفنادق التي لا تهتم خادمتها بالازواج الذين يتتابعون . وبعد ثلاثة ايام اوقفت ، فلم تعرفني اية خادمة منهن . ولم تستطع اية واحدة ان تشهد بانها رأني في الفندق ليلة الجريمة . وكان المطر قد تساقط طوال النهار ، وكنت مرتدياً من اللباس ما يرتديه الكثيرون : قبة من اباد ، وواقياً من المطر . واليوم انقضت اكثر من اربعة أشهر ، وان من المرجح بل من المؤكد ان احداً من الفندق لا يذكر انه رأى فيه هذه المرأة (صمت) . هل تفهم الآن الوضع ؟ انه لا يمكنني بعد ان اقيم الدليل على الحقيقة . وانت وحك تستطيع ان تشهد بان السيدة روبرت برتوليه قد اعترفت امامك اني نمت معها يوم الاول من حزيران ، بين الساعة الثامنة ومنتصف الليل ! وهكذا تكون حياتي وشرني بين يديك مرة أخرى .

(صمت طويل ينظر روبرت وفالورين خلاله الى مايار الذي يصرف

عنها بصره)

مايار - وماذا تريد مني ؟

فالورين - ان تقوم بواجبك .

مايار - فليكن . ومهما يكن من امر ، فليس من الوارد ان نسيء الى سمعة زوجة قاض بمثل هذه الحكاية القذرة .

فالورين - ايها النائب العام مايار ، انك انت نفسك قاض ، واحسب ان القضية ينبغي ان تطرح ببساطة على ضميرك كقاض . اما انا ، ولست في الحياة إلا عازف جاز ، فيلوح لي ان الحل يفرض نفسه من غير نقاش .

مايار (بعد صمت) - سأقوم بما ينبغي ان اقوم به . ولكني اطلب الآن ان تذهب .

فالورين - اذهب ؟ لكي ادع لهم ان يعتقلوني صباحاً ويعيدوني الى السجن اراك تستبأهني حقاً . انني باق هنا .

مايار - انت ؟ تبقى هنا ، في منزلي ؟ آه ! كلا ! مئة مرة كلا ! ولكن اذا كنت تعرف اشخاصاً موثوقين استطيع ان اقودك اليهم بسيارتي ، فانا مستعد لذلك على ابعد تقدير ...

فالورين - ليس هناك أشخاص اوثق ممن يساء الى سمعتهم . ولا بد ان ممارسة « العدل » قد علمتلك ذلك . فلا تلج اذن ، انني باق تحت سقفك ، ولا شك في ان عندكم غرفة صديق .

مايار - ولكن ذلك مستحيل ! انني لست وحيداً ! ان عندي زوجة .. فالورين - لا ارى اي مانع من ان تطلع السيدة مايار على الحقيقة ، او على الاقل ما يخص علاقتي بزوجة زميلك .

مايار - والاولاد ؟ والخدم ؟

فالورين - لا تعترض بعد ، فليس ثمة من فائدة . لقد صح عزمي على ذلك . والواقع انني سابدأ بالافادة من ضيافتك من غير تأخير وأسألك اين استطيع أن غسل يدي ووجهي ، فانا اعتقد اني أصبت ببعض الخدوش .

مايار (مشيراً الى الرواق) : من هنا . تسلك السلم الداخلي ، فتبلغ الطابق الاول . الباب الثاني الى اليسار .

فالورين - آه ! حسناً ! بجانب غرفة الاولاد ؟ شكراً . (واضعاً مسدسه على الطاولة) يا سيدي النائب العام ، انني أكل اليك العناية بشرفي والعناية بان تطيل حياتي .

(ينظر اليه مايار وهو يرقى الدرج ، ثم يقبل على روبرت) .

المشهد التاسع

مايار (صافعاً روبرت) - ساقطة ! فذرة ! مستعدة للحاق باول قادم الى فندق للدعارة . آه ! لقد احسن في تسميتك بالبغي ! انني افهم الآن فرحك الجنوني حين بلغك الحكم بالاعدام على بريء . فقد كنت تعلمين انت انه بريء . كنت تعلمين ذلك .

روبرت - اجل يا مايار ، اجل .

مايار - ربما ازعجتك بهذا الإحراج ؟

روبرت - لا . فاذا افهم غضبك ، واقدر حزنك .

مايار - بغي . هكذا اذن ، حين كنت تروين لي انك تطوفين بالمتاجر ، قائماً كنت في الحقيقة تترمين على اعناق الرجاء في الشارع . رجل كل يوم ... ان مما يدهشي انك لم تقعي على مجرم حقيقي يغتالك في فندق قدر ليسلك مجوهراتك . آه ! لو اتاني مثل هذا لبرأته بكل طيبة خاطر ! ولكن ماذا في جسدك ، في بطنك ، تحت جلدك ؟

روبرت - انك تهمني أنني آخذ عشاقاً باليوم او بالساعة ، ولكنك تعلم حق العلم في قرارة نفسك ان هذا غير صحيح . انك لم تشك لحظة بان تلك الامسية مع هذا المجرم لم تكن الا حدثاً عارضاً .

مايار - أتخسبيني بسيطاً الى هذا الحد ؟ أو تظنين انك تستغفرين لخطيئتك بخطيئته لم ترتكبيها ؟

روبرت - اعترف بأنني اخطأت ، وانا لم انتظر عواقب ضعني لأندم عليه . ينبغي ان تكون لدينا الجرأة للاعتراف بان جميع النساء يعرفن مثل هذه اللحظات من الضعف . وليس هناك من هن معصومات منها الا النساء البارونات ، كزوجتك . اسمع يا مايار : لاتندم ابداً على ان امرأة مثلي تحبك ، حتى ولو حدث ان كنت مجنونة . فان اشد معانات جنوني هي التي أقضيها بين ذراعيك . (تشده البها)

مايار (ملامساً كنفها) - انك تكذبين . انا على شبه اليقين بانك تكذبين . ولكن الكذب « يلبق » لك كالثوب الجميل .

روبرت - سترى اننا بعد هذه التجربة ، سيكون احدنا ادنى الى الآخر منه في اي وقت مضى (خافضة صوتها) سترى اي مذاق سيتركه على حيننا اشتراكنا في الذنب .

مايار - اشتراكنا في الذنب ؟ انك مجنونة اكثر فاكثر ! الى اي شيء تومئين ؟

روبرت - ألم تسمع ما قاله فالورين ؟ لقد أقر انه لم يعد في طوقه ان يقيم الدليل على حقيقة الحادث . اذن ؟ فاي هم نحمله ؟

مايار - إنك حقاً عجيبة ! آه ! لاشك في ان « العدالة » ليست هي من اختصاص النساء .

روبرت - ما دمت اردد لك ان ليس في استطاعة فالورين ان يثبت شيئاً ...

مايار - مفهوم ... ولكنني ، انا ، اعلم .

روبرت - نعم ، تعلم ولكنك لا تقول شيئاً . كما لو ان ذلك لم يحدث لك

عشرين مرة ، خمسين مرة ، في أثناء ممارسة وظيفتك !

مايار - انك تبالغين !

روبرت - ان زوجي يمارس المهنة نفسها ، فانا ادرك معنى تصرفاتك . ولكن كانت بعض ألوان الضعف قد مرت بي ، فانها لا تعد شيئاً إزاء ألوان ضعفك .

مايار - ولكن اسمعي يا روبرت .. ليس الامران سواء ...

روبرت (ضاحكة) - انك على حق يا مايار . إن الكفة تميل معك . ولكن لا تنس ان استنكافي هو الذي اتاح لك ان تحكم بالموت على بريء . هيا إذن . انت ترى جيداً اننا صنعنا لتفاهم .

مايار - تفاهم على اي شيء ؟

روبرت - على السلوك الذي ينبغي ان نسلكه بشأن فالورين . انني اطلب اليك ان تلزم السكوت مرة اخرى . هذا كل ما اطلبه .

مايار - انني لن أنصاع لحظة لاقتراحاتك . ولكن اذا كان علي ان اهتم لحظة بها ، فان ذلك سيكون حساباً رديئاً احسبه . افرضي انني سأصمت ، فما عساه يحدث ؟ ان فالورين لن يتردد في ان يروي كل شيء لمحامييه .

روبرت - ليست عنده دلائل .

مايار - إن هذا لن يمنع المحامي من ان يتعلق بهذه القصة ويحاول ان يثير الرأي العام . ولاشك في انه سيتحدث عن الندبتين اللتين في جسمك ، وعن حبة الجمال . واحسب ان ذلك سيكون فضيحة جميلة . وما يدرينا انه لن تعرفك إحدى خادما الفندق ؟

روبرت (وقد اسقط في يدها) - آه ! صحيح . هناك امر الفندق .

مايار (بهيئة مرتابة) - لعلك لم تذهبي الى الفندق هذه المرة فقط ؟ بل لعلك متعودة عليه ؟

روبرت - كلا ، كلا . اراك نذهب بعيداً في الاتهام ! انها اللحظة المناسبة . مايار (متهدأ) مهيا يكن ... (هنيئة) ترين إذن ان بوسع المحامي ان يفوز روبرت (بعد صمت) هذا صحيح . بعد كل حساب ، ارى انه لم يبق لنا إلا حل واحد . (تنظر الى المسدس)

مايار - روبرت ، بم تفكرين ؟

روبرت - لقد فر فالورين ، فدلنا الى منزلك لينتقم لنفسه من الحكم الذي استصدرته عليه . وكل ما فعلته انت ، انك دافعت عن نفسك .

مايار - اتريدين ان تجعلني متي قاتلا الآن ؟ لا ، لا . قد لا اكون قاضياً بعيداً عما يؤاخذ عليه ، ولكنني لن اكون قاتلا على اي حال !

روبرت - بل ، انت قاتل ، ولكنك تخشى ان تطلق النار . انك لا تقتل الا بواسطة شخص ثالث . واذن ، فانا التي سأطلق النار عليه .

مايار - انني احظر عليك ذلك . فانا ارفض ان اكون شريكاً لمجرمة . روبرت (ضاربة بقدمها الأرض) - الحق انه ليس هناك من هو أشد بلاهة منك !

مايار - لئن اظهر احد بلاهة ، في هذه الظروف ، فهو انت دون ريب ! اية حاجة كانت بك لأن تعتر في امامي بانك قد ضاجعت هذا الشخص ؟ لو انك انكرت حتى النهاية ، وعن عمد ، لكان بإمكانني ان املك بعد ، ولسهل علي ان اتدبر الأمر مع ضميري ، كان بوسعي ان اتنع نفسي بأنه كان كاذباً ، وكنت استطيع ...

روبرت - ارجو اعفائي من هذه النزعة التي تقوم بها عبر واحات ضميرك ، ومن الخير لك ان تحذني عما تنوي عمله .

مايار - ماذا تنتظرين ، اني انوي القيام بواجبي . فليس لي الخيار بعد .

روبرت - تقصد ان زوجي سيقف على حقيقة الأمر ؟ وليس هو فقط ،

بل جميع الناس ؟

مايار - انني اول من يتألم لذلك ، ولكن ليس لي ان أجعل الموقف غير ما هو في الواقع .

روبرت - وانت لا ترى اي مانع من ان تعرف زوجتك ويعرف الجميع اني كنت خليلتك ؟

مايار - من الذي سيعرف ذلك ؟ لا حاجة الى ان يعرف احد امر علاقتنا . إن فالورين ، الذي يبدو لي انه رجل نبيل جداً ، لن تأخذ الرغبة ابداً بان يفشي ذلك .

روبرت - ولكن انا ، سأفشي !

مايار (مذعوراً اولاً) - هذا « شانتاج » ! انني انذرك بأنك ، في هذا الميدان ، لن تصارعيني بسلاح متكافئ . فلا تنسي ان حل هذه القضية يقوم آخر الأمر على شهادتي . وانت تحسنتين صنعاً بان تفكري بذلك . واني بعد هذا كله لأتساءل : لماذا لم تساعدي فالورين على ارتكاب جريمته ؟

روبرت - قدر ذني . !

مايار - بنفي قحبة ! (صمت يتبادلان في اثنائه نظرات كره) أحسب ان من صالحنا الا فتخاصم . اننا بحاجة الى برودتنا كلها . فلر بما كان ممكناً ان نجد مخزجاً يوفر علينا الفضيحة ، بالرغم من ان الأمر يبدو صعباً لاول وهلة . انني بحاجة الى محادثة مع زوجك على الفور .

روبرت - هل ستقول له ...

مايار - اعتبر هذا الأمر اهون الشرور ، ان استطعنا ان ننفادي من الباقي . عودي الى البيت ، فقولي له انك ترغبين ... ان الرئيس « فوكولين » قد سعى الى لقائي من أجل قضية تهمة امن الدولة ، واننا شديدا الرغبة في استشارته حالا . ثم انك تدبرين الأمر بحيث تسمكين في منزلك مادلين وآل اندريو .

(يصمتان . يسمع وقع خطي في الرواق ، ثم يظهر فالورين في اعلى السلم)

المشهد العاشر

فالورين - استمحيكما العذر ، فلقد تأخرت قليلا وانا ازيل عن وجهي آثار الدم . وارجو ان تجدنا مظهري الآن اكثر قبولا بما كان ساعة وصولي . الحق ان غرفة الاصدقاء هذه الصغيرة غرفة لطيفة جداً . وانا على يقين من اني سأجد فيها كل متعة وراحة .

(يهبط فالورين درجتي الرواق . تتناول روبرت المسدس المتروك على الطاولة ، فتطلقه على فالورين ، ولكنه لا ينطلق)

فالورين - لقد احتطت للأمر فأفرغته من رصاصه قبل ان ادخل . انني انفر نفوراً شديداً من اراقة الدم . واحسب ان هذا هو شأنكما ايضاً ، ولكن يبدو ان عليكما قبل كل شيء ان تنقذا شرفيكما اللذين يعرضهما وجودي للخطر . فمندا الذي يؤاخذ كما على ذلك ؟ يلوح اننا لا نملك اثن من منه .

مايار - صدق انني استنكر إطلاقاً حركة السيدة برتوليه .

فالورين - اصدق ذلك ، فالواقع انه بدا عليك انزعاج طفيف حين تناولت هذه المرأة المسدس . انك لم تحاول ان تمنعها من إطلاق النار ، ولكن استنكارك تعزية معنوية لي . فانا أحسب ان الإسراع لانقاذ رجل في خطر ، ليس هو من شأن نائب عام . (لروبرت) أنتسمعين ؟ إن عشيقك ، الذي تعودت عليه اكثر من اي عاشق آخر من عشاقك ، يستنكر النية التي ساورتك لتحطيم رأسي . (لمايار) ولكن ما الذي كنت تفعله ، ايها النائب العام ، لو

- التتمة على الصفحة ٩٧ -

رؤوس الآخرين

— تمة المنشور على الصفحة ٤٨ —

اني سقطت امامك ، وفي جيبني رصاصة ؟ اكان استنكارك يتفاهم بحيث تشكو القاتلة الى القضاء ، ام هو استنكار مبدئي فحسب ؟
مايار — يبدو لي اننا امام واقع دقيق بما فيه الكفاية حتى لا ننتبه في ميدان الافتراضات .

فالورين — انك تقر بانني لم ابذل جهداً خيالياً كبيراً لبلوغ هذا الافتراض (يلتفت الى روبرت ضاحكاً) .
روبرت — اطلب منك الصفع بكل اخلاص . لقد فقدت أعصابي ، واتيت ما اتيت في لحظة جنون ، ولكني أسفة للبادرة التي انسقت اليها .

فالورين — ان اسفك اشد لأن المسدس لم يكن محشواً ، اليس كذلك ؟
روبرت — آه ! انه يلائمك الآن ان تسخرمني . ان خطأي هو اني امرأة ، وان أجدني في وضع لا يغفر لي الناس فيه ان اترك نفسي ضحية المفاجأة .
وإن الرجال سيكفون اول اهلائين بياني واول من يشعرني باحتقارهم . فاني مسكينات نحن النساء ، وما اجدرنا بان نحسد الجنس الآخر . فانت مثلاً ، من أجل ان تبريء نفسك ، تستطيع ان تعتمد على امسية قضيتها في الفندق مع امرأة ، من غير ان يخطر لأحد ان يتسم من جراء ذلك او ان يحتاظر . اما اذا كان الامر متعلقاً بامرأة ، فان الجميع يومتون اليها بالاصابع ، ويمضون يرددون في كل مكان انها بغي ، انها قحبة !
فالورين — اوه ! تريدين الحقيقة ، هذا ما كانوا جديرين بان يقولوه في عهد جدتي . اما اليوم ، فان الناس ارحم .

روبرت — لا في وسطنا ، وسط القضاة ، حيث يظل الناس أقسى .
فالورين — صحيح ؟ كنت اظن ، عكس ذلك ، ان الناس احذق والبق .
ولكن ما الذي تقصدين اليه في النتيجة ؟

روبرت — كل ما ارغب فيه هو ان اجعلك تتمثل الكارثة التي سنواجهها ، انا وزوجي ، من جراء كشف النقاب امام الجميع عن مغامرة مساء . واعتقد الآن ان بالامكان تقديم نسخة عنها مختلفة بعض الشيء ، ولكنها تنقذك من غير ان تسيء اليها . فمثلاً ، استطع ان أجد امرأة ليست ذات سمعة ينبغي ان تصان ، فاقدم لها شيئاً لأن تشهد بأنها قضت معك امسية اليوم الاول من حزيران . انني واثقة من ان باستطاعتنا ان نرتب القضية .
مايار — إن في هذا بذور فكرة لا بأس بها .

روبرت — اليس كذلك ؟
فالورين — ايها السيدة برتوليه ، انا لا اريد ان ارتب القضية . اعلمي اولاً انني لا أرق لفكرة الفضيحة التي ستطبخك . ومع ذلك ، فانا رجل سمح ، وافهم وان كنت انكر ان تحرص امرأة على سمعتها اكثر مما تحرص على حياة انسان ، ولو كان هذا الانسان عشيق ليلة . ولكنك انت ، ايها السيدة برتوليه ، كان الخيار امامك يسيراً جداً . فحيث انك عشيقة النائب العام مايار ، فقد كان يكفيك ان تقولي له الحقيقة لتقديني . (لمايار) ما الذي كنت تفعله لو عرفت الحقيقة ؟

مايار — بالطبع ، كنت اتدبر الأمر بحيث اتخلي عن التهمة .
فالورين (لروبرت) — اتسمعين ؟ كان بوسعك ان تخلي سبيل بري ، من غير ان تعرضي نفسك للفضيحة . ولكنك لم تريدي ذلك .
روبرت — اتعتقد انه يسير الى هذا الحد ان تعترف امرأة لعشيقها بأنها قد

خاتته ؟ انني لم استطع . ومع ذلك ، فقد كان بودي لو ائتقذك .

فالورين — انت تكذابين . حين دخلت القاعة منذ حين ، كنت تظهرين فرحاً جنونياً وانت تتحدثين عن الحكم علي بالموت .

روبرت — نعم ، انا مذنب ، واشد ذنباً مما تعتقد ، اني شيطان ، واني لأنفر من نفسي ، ولكني استطع ان اصبح امرأة اخرى ، اذا اعانني على ذلك أحد . اليس هناك مجال للصفح عن امرأة مثلي ؟

فالورين — ليس هذا من شأنني . توجهي بذلك الى الرب .
روبرت — ابتهل اليك ان تشفق علي ... لذكرى تلك الساعات التي قضيتها معاً ... (تحاول ان تمسكه من ذراعه ، فيتملص منها) تذكر ...

مايار — روبرت ، إنك لتثيرين اشمئزازي . هيا ، انطلقني الى منزلك وارسلني برتوليه . إن هذا لصالحك .
روبرت (تنظر نظرة قلقلة الى مايار) — على الأقل ، لا تقررا شيئاً قبل ان يصل . (تخرج)

المشهد الحادي عشر

فالورين — انها امرأة جميلة ، اليس كذلك ؟ (صمت) ينبغي الاعتراف بانها ، في السرير ، مخلوقة متمتعاً جداً . (صمت) ايكون حديثي شاقاً عليك ؟ ام تراك تعتبرني فظاً ؟ (صمت) يجب ان تمدرني . فالحق ان إقامة في السجن تستغرق اربعة أشهر تنسي الانسان العادات المتبعة . هل دخلت السجن مرة ؟
مايار — ولماذا ادخل السجن ؟

فالورين — ما يدريني ... مهما يكن من أمر ، فانا اعتقد ان الرجال المدعويين الى الحكم على آخرين ، ينبغي لهم ان يقوموا بتجربة تمرين في السجن لمدة شهرين او ثلاثة . فهم لا يستطيعون ان يعرفوا ما يكيدونه المحكومين إلا اذا جربوا هذا التمرين . صحيح انه لا مفر لهم ، في هذا الصدد ، من ان يجربوا المقتضلة ايضاً ... وبالمناسبة ، هل يلذك حقاً الى هذا الحد ان تنجح في ارسال احد الى المقتضلة او الى خشبة الاعدام ؟

مايار — لماذا تصف هذا الامر باللذة ؟ انني لست سادياً . وانما انا اؤدي مهمتي على خير وجه استطيعه ، وحين ابليغ ذلك ، اجدي مسروراً ... هذا كل ما في الأمر .

فالورين — وهل تعتقد انك تقوم بمهمتك خير قيام حين تبدو فصيحاً الى درجة كبيرة ؟

مايار — اليس هذا طبيعياً ؟ حين أوفق ، بعد دحض ادلة الدفاع ، الى القاء النور امام المحكمة على ثبوت الجريمة ورغبات المجرم ، الا اكون بذلك قد قمت بدوري خير قيام ؟

فالورين — بلى ، كما حدث بعد ظهر هذا اليوم . ولكن حين تجد امامك محامياً ضعيفاً ؟

مايار — حينذاك تسهل مهمتي الى حد بعيد ، دون ما ريب .
فالورين — يعني انك اذا كنت ألع منه ، فباستطاعتك ان تحكم على المتهم ، من غير ادلة ناصحة . كما حدث بعد ظهر هذا اليوم .

مايار — بوسعي ان اقول ، وانا لا ارغب في التبيح ، إن محاميك لم يكن في مستواي .

فالورين — هكذا إذن ؟ إن حياة المتهم او موته يتوقفان على موهبة كل من الخطيبين ، فكل شيء يجري ، آخر الأمر ، كما لو ان رأسه يراهن عليه في الشطرنج ، بحيث يكسب احسن اللاعبين جانب المحكمة .

مايار — الواقع ان الأمر كذلك الى حد ما ، بالرغم من ان البوح بذلك مزيج وجارح .

فالورين — اذا كان الأمر كذلك ، افليس عدل للمتهم ان يراهن على رأسه بطريقة « وجه الفلاس او قفاه » ؟ في مثل هذا الحال ، كان يكون لي انا حظ

على اثنين لأنجو من الحكم ، بدلا من ان احرم اي حظ .
مايار - إن نظريتك هذه سخيفة ، فهي لا تهتم بما يملك كل من الخصمين
من اوراق ممتازة .

فالورين - آه ! ولكن لنفرض ان احد اللاعبين جدير بان ينش ؟ انت ،
مثلا ؟

مايار - إن خيالك اوسع مما ينبغي . وانا اوثر ان اضحك منه بدلا من
ان اغضب .

فالورين - اوه ! احببت ان اتكلم .. والواقع اني اعتقد بانك لا تتقصد
الغش لتحصل على رأس عازف بسيط على الجاز. هل ذهبت في عطلة هذا الصيف
الى الريف ؟ (صمت) كم اود لو اقوم برحلة الى الريف . فهو جميل في
الحرير ... ولكن متى اصبح حراً في الحقيقة ؟

مايار - إن الشكليات تستغرق مدة طويلة ، ولكنك ستمنح مباشرة
حرية موقته .

فالورين - غداً ؟

مايار - لا ادري . ينبغي اولا ان اتحدث في الأمر الى النائب العام
برتوليه ... ادخل !

المشهد الثاني عشر

(فالورين يتجه الى النافذة ، مولياً ظهره . بييريت تدخل برتوليه .
مايار يتقدم منه)

برتوليه - يبدو انك بحاجة الى انوار ، وعلى جناح السرعة ؟ ان ثقتك
بي تشرني كثيراً ، ايها الصديق العزيز ، ولكني اتساءل عما اذا كنت جديراً .
مايار - جدير ، انت جدير من غير شك (لبييريت) هل عندك ما
تقولينه لي ؟

بييريت - اود ان اعلم اذا كان السيد باقياً في المنزل بدلا من ان يذهب الى
منزل السيد برتوليه .

مايار - اني باق .

بييريت - هل استطع اذن ان اذهب للنوم ؟ وهل يهتم السيد بالاولاد ؟
مايار - اذهبي للنوم يا بييريت (تخرج) .

برتوليه - لقد استعجلتني روبرت استعجالاً عظيماً حتى اني قفزت قفزة
رياضية لأصل منزلك . وما زلت اهدن من شدة الجري . وإذن ، فما هي القضية ؟
مايار - ليست هي ما تظن ، ولكن الأمر خطير ، تعال من هنا ،
فانك سرعان ما ستفهم ...

(مايار يقود برتوليه حتى منتصف القاعة . يلتفت فالورين فجأة ،
ويجيب بانحناء من رأسه)

برتوليه (منتفضاً) - ماذا ؟ إنه ... (يلتفت الى مايار) لست مخطئاً يا
مايار ... اعتقد انه الرجل الذي رأيته منذ حين في قفص الاتهام ؟

مايار - نعم ، انه فالورين ، الرجل الذي كنت التي منذ حين مطالعة ضده
برتوليه - ولكني لا افهم !

مايار - لقد فر .

برتوليه - ماذا ؟ فر ؟ اتكلم جاداً ؟ .. (ينفجر ضاحكاً) فر !
آه ! هذه مزحة ظريفة ! وانك لتقولها لي بكل هدوء . كما لو انها ابسط

الأمر في الدنيا ، ان تجدي في بيتك الرجل الذي حكمت عليه بالاعدام .
وبالاجمال فانه قد اتي يحمل لك رأسه ، اذا كنت لم اخطيء الفهم ؟ (ينفجر
بضحكة جنونية) اعذرني على هذا الخذل ... الواقع ان القضية تدعو الى

الضحك الى حد بعيد . لقد فر ! لقد فر ! كيف ترأه اني الى منزلك ، في
الواقع ؟

مايار - سأشرح لك الأمر عما قليل . اما الآن فأحدثك عن اشد الأمور
إلحاحاً وعجلة . اعلم اولا ان هذا الرجل بريء .

برتوليه - آه ! وهل انت على يقين من ذلك ؟

مايار - كل اليقين .

برتوليه - إنك إله يا مايار ! هيا ، يا عزيزي لا تظهر بهذا المظهر
المتواضع . لقد حققت نصراً ليس هو فريداً في سجلات العدل . ولكنه
يستخفي حماساً !

مايار - لا ، ليس هذا وقت الكلام يا برتوليه . احتفظ بحماستك .
برتوليه - انت لن تمنعني ان اقول إنك ملك النواب العامين . إنه لرائع
ان تستصدر حكماً بالاعدام على بريء ، بوسائل موهبتك وحدها . ان بودي
ان اعانقك ، يا مايار .

مايار - لا ، حقاً ، أوكد لك ان لا حاجة بك الى مثل هذا .

برتوليه - اية شهرة هي شهرتك يا مايار ! ما اروع ان يقول المرء لنفسه
انه نجح في ان يحصل على رأس بريء ! (لفالورين) اعذرني ، الواقع أن
حب المهنة عندنا يفوق اي شعور آخر .
فالورين - ولو كان شعور العدالة .

برتوليه (ضاحكاً) - هيه ! هيه ! إن بريتك خفيف الروح !

مايار - اطلب منك الآن يا برتوليه ان تكون شديد التنبه . فمن
الضروري ان تعرف ما هي ادلة براءة السيد فالورين .

برتوليه - انا شديد الفضول لمعرفة ذلك .

مايار - إن المتهم يدعي انه قضى امسية اليوم الاول من حزيران ، بين
الثامنة ومنتصف الليل ، في فندق ، بصحبة امرأة كان يجهل اسمها .

برتوليه (مجذول) - لاحظ ان هذه اشياء غالباً ما تحدث . (لفالورين)
إن ادعاءاتك مقبولة ... إلا عند نائب عام ! (يضحك)

مايار (بصوت نافذ الصبر) . بالاختصار : إن التبرير الذي لم يرد احد
ان يصدقه ، هو الآن تبرير صحيح . فقد عرفت هذه المرأة ، بمصادفة عجيبة
واعترفت بالحقيقة .

برتوليه - إن القضية تنجبه وجهة روائية . ولكن أسمح لنفسي بملاحظة .
قد تستطيع امرأة الا تقضي الا امسية واحدة مع رجل وتحتفظ من ذلك بذاكرة
لا تزول . افليس معقولاً ان هذه المرأة تعد الى الكذب لانقاذ عشيقها ؟

مايار - اذا كان الأمر كذلك ، فان شيئاً لا يمنعها من ان تأتي للشهاد
في اثناء الدعوى . الواقع انها لم تكن لها اية فائدة في ان تكذب . انها امرأة

مرموقة في الاوساط ، وهي تتحاف ان ينتشر نبأ مغامرتها بين معارفها ،
ولاسيما عند زوجها . لاحظ انها معذورة الى حد ما بان تعتورها لحظة من

لحظات الضعف . فالحق ان النساء في عصرنا ، لسن اكثر منا بمنجى عن الضعف ...
برتوليه - اذا كان الأمر عائداً لي ، فانا اعذرهما بكل رضى ... (لفالورين

هل هي جميلة ؟)

فالورين - نعم ... امرأة جميلة بما فيه الكفاية ، وهي على الأخص ذات
جاذبية جنسية . وان اذ رأيتهما لم يخطر ببالها إطلاقاً انها قد تكون زوجة قاض .

برتوليه - قاض ؟ زوجة قاض ؟ (لمايار ، مخفصاً صوته) انها على اية
حال ليست زوجتك ؟

مايار - لا . انها ليست زوجتي انا . وانه ليشق علي ، يا صديقي العزيز
ان يكون علي ان اقول لك إن الأمر يتعلق بزواجك وروبرت .

برتوليه (مذعوراً أولاً ثم ناظراً الى مايار بعينين بلهاوين) - روبرت !
في فندق ! حسبك هذا ! إنه امر سخيف غير معقول !
مايار - اقول لك إنها اعترفت بالوقائع امامي .

برتوليه - آه ! الكلبة ! الفحبة ! في فندق ! مع آخر ! لقد تفادت من
ان تقول لي ذلك منذ خين ... ولو قالت لكنت ... آه ! اعتقد اني كنت
صفتها ... (يرتمي في مقعد) ليتك تعلم يا مايار ، اية طعنة ... (لفالورين
بقوة) انت الذي أضللتها وأغويتها ، ايها القذر ، الداعر ، طريد المقصلة !
إن روبرت لم تكن تفكر بالسوء ! انك انت المجرم الحقيقي ايها السافل !
ايها الشخص الكريه ! قاتل ، انك قاتل !

مايار - حسبك يا برتوليه ، امتلك اعصابك . حاول ان تنسى عذابك
لحظة .

برتوليه - كما لو اني استطيع ان انسى ان امرأتى قد تقلبت بين ذراعي هذا
الداعر !

مايار - اني ادرك مبلغ الملك . وانا نفسي شديد التأثر لذلك ... ولكنك
الآن في وضع دقيق ينبغي ان تتحرى عواقبه بكل هدوء . فكر ملياً في ذلك ،
فقد اعترفت لي روبرت ، بسداجة ، بأنها كانت عشيقة فالورين ، ذات
مساء . وقد كان هذا المساء ، الاول من حزيران ، مساء الجريمة بالذات .

برتوليه - الصبية المسكينة ! يا لبساطها وسلامة طويتها ! (لفالورين)
خزير !

مايار - إنك إذن تدرك ما الذي يفرضه علي الواجب . فان علي ،
مبدئياً ، ان أشهد ببراءة فالورين ، استناداً بالطبع إلى اعترافات روبرت .
برتوليه - هل انت مجنون ؟ إنه لا يبقى لي آنذاك الا ان استقيل . وسيكون
ذلك فضيحة فظيعة !

فالورين - البست الفضيحة الحقيقية هي اني ، انا ، كنت ...
برتوليه - انت ، حل عن ظهرنا . إنك لم تعظ الكلام .

فالورين (رافعاً صوته) - ليست الفضيحة ان يقال عن زوجتك بان لها
عشاقاً . وانما الفضيحة هي ان أسجن واحاكم ويحكم علي بالموت ، من غير
ان ترفع صوتها لتبرئتي . لقد كان صمتها جريمة . وهي التي ينبغي ان تجلس
غداً في قفص الاتهام .

مايار - سيكون يسيراً عليها ان تبرى نفسها ، فنقول للقضاة إنها
كانت تجهل ان هذا الرجل قد اوقف وانه يحاكم .

فالورين - انك على حق . إن المجرمين الحقيقيين يجدون دائماً تبريراً لهم
بصرف النظر عن أنهم يتمتعون بعطف النائبين العامين .

مايار - إنك غير منصف .
برتوليه - ايأ ما كان ، فليس وارداً اعلان نياً انحراف روبرت في سلوكها
مايار - لقد قلتها . اما انا الذي استمعت الى اعترافات روبرت ، فان
امامي مشكلة ضميرية ينبغي ان تحل .

برتوليه - حسناً . لتحدث في ذلك . إن مشكلتك الضميرية مجملولة تماماً .
مايار - اسمح لي ، ايها الصديق العزيز . احسب أنك تستخف قليلا
بالأمر . فالواقع ان شرطي هو الذي يتعرض الآن للخطر .

برتوليه - شرفك ! اسمع يا مايار ، فنحن لسنا هنا لنلتي الخطب الفارغة .
مايار - إنها خطب فارغة بالنسبة اليك انت الذي تحمل للشرف مفهوماً
خاصاً .

برتوليه - مفهوم خاص ؟ إن هذه طريقة في الكلام لا تروفي قط . هيا
بنا ، لا تبقي في منتصف الطريق . ما الذي تريد ان تقوله ؟

مايار - لاشيء ، لاشيء .

برتوليه - اذا كان هناك من لا يصلح للتحدث عن الشرف ، فهو انت يا
مايار !

(يجلس فالورين ليشهد اختصام الرجلين ، ويبدو عليه الاهتمام الشديد
لذلك)

مايار - إن هذه الملاحظة لا تخلو من طعم ، في فمك . (يضحك)
برتوليه - إن النجاح يا مايار يجعلك تترك رأسك ؛ ولكن اذا كان ،
صحيحاً انك اتممت براعة عظيمة في استصدار حكم بالاعدام على بريء
فينبغي الا تنسى انك لم تبلغ هذا الا باهانة وظيفتك .

مايار - لا اسمح لك بان تنصب نفسك رقيباً علي . ثم إن هذا يجعلك
مضحكاً (يضحك)

برتوليه - ليست مهمة النائب العام ان يحكم على متهم بأي ثمن . إن اول
هم ينبغي ان يكون للنائب العام الشريف ، الذي ليس هو وصولياً مبتدلاً ،
هو الا يسيء الى «العدالة» في مطالعة ، كما فعلت انت اليوم . وانا احبلك
في هذا الصدد ، على القباء مهنتك ، مع رجاء ان تكتشف من جديد معاني هذا
الشرف الذي يتبني به فمك مرة واحدة .

مايار - بوسعك ان تحبس مواعظك وتحفظها لاستعمالك . ولا تنس ،
خصوصاً ، ان تضيف اليها وصلة في باب الرشوة .

برتوليه - أنت الذي يجرو على التحدث عن الرشوة ؟ انت الذي تراجعت
بوقاحة عن الدعوى ضد اكبر مستغل للترابطة المسلحة ! لقد تسلمت رزمة
بخيلة ، اليس كذلك ؟

مايار - اما انت ، فقل لي : كم يبلغ راتب نائب عام نصب نفسه خادماً
لطغمة سياسية ؟ قاض لم يتورع عن ان يمد يده فيتناول من الوحل والدم
ربطة عنق قائد ، قاض آثر ان يعيش بسخاء على زبل الفضائح التي كان يتولى
تحققها ؟

برتوليه - يناسبك جداً ان تتكلم عن زبلي ! فلقد رأوك ، في فضيحة
الإجازات ، تلحس أحذية فريق برتمه من الوزراء ، وتعرض نفسك في
غير ما خجل ، لتقييم بأحظ الأعمال . وما الذي كنت لا تتورع عن اخضاع
وظيفتك له ؟

مايار - آه ! كفك ! تحدث عن نفسك ، إن جميع ألوان الحطة والقذارة ..
برتوليه - اعلم جيداً اني انا لم اقم إلا بالخدمات . اما انت يا مايار ، فقد
بعث نفسك !

مايار - اسحب كلمة «بعث» ! اني انذرك بان تسحبها !
برتوليه - اني اهزأ بانذاراتك . وأضيف ان اجمل ذكرى احفظها عنك
هي اني رأيتك ، بعيد التحرير ، ترتجف خوفاً في اورقة وزارة العدلية ،
وانت تستجدي تبرئتك من جميع الأعمال القذرة التي ارتكبتها في عهد الاحتلال
مايار - إن شتائمك لا تبلغني ، ايها الوغد !

برتوليه - إنك انت حثالة العدالة !
مايار - حشرة !

برتوليه - بائع نفسه !
مايار - ديوث !

(يوجه برتوليه صفة لمايار الذي يحاول ان يرددها له ، ولكن برتوليه
يتفادى منها)

مايار - ان عليك ان تعوضني عن هذه الإهانة ، وعلى النور ! اني
سأريق دمك ، دم الحيوان الفاسد !

برتوليه - وانا سأسيل الفحيح الذي يجري في عروقك ، ايها البائع نفسه !
(يرتمي احدهما على الآخر ، ولكن فالورين يفصل بينهما)
فالورين - هيه ! حسبك ! هل كلبك حقاً ؟ اية غلواء ! ثقا اني آسف
لاضطراري الى فصلكم . فالحق انه مشهد لذيد لمحكوم عليه بالاعدام ان يرى
نائبين عامين يقتتلان ؛ ولكن حرصي على حياتي الخاصة يجبرني على العناية
بحياتكما . فمن الذي يشهد ببراءتي ، اذا هلك النائب العام مايار ؟ هيا ، هيا ،
كونا عاقلين ، واعدلا عن غسل شرفكنا . والآن ، وقد افرغ كل منكما جعبته
فأجدر بنا ان نتحدث في القضية التي جمعتنا .
(صمت يخفض النائبان العامان في اثنائه رأسهما)

برتوليه (بفظاظة) - انك على حق (هنيهة . مايار) لقد كنت متحمساً
اكثراً مما ينبغي . واني لألتمس منك العذر .
مايار (فترة تردد) - انني اقبل عذرك .
برتوليه - وأسحب كل ما قلته .
مايار - في هذه الحال . اسحب انا ايضاً ما قلته .
برتوليه - حسناً . اين كنا من القضية ؟ نعم ، كنت اطلب اليك ان
تؤريث في اصدار قرار يحتاج الى فحش .

مايار - بما لاشك فيه ان ليست هناك فائدة من استمجال الأمور .
برتوليه - ثم إن ما ينبغي ان يتقود خطانا ، في هذه القضية المؤلمة ،
لا الفائدة الشخصية وانما اعتبارات اعم .. واجرؤ ان اقول : بل اعتبارات
اكرم .

فالورين - ايها النائب العام : إن تحفظاتك الخطابية لا تعني في نظري شيئاً
له قيمة ، شأنها في ذلك شأن هذه العواطف السخية التي تقدمها . فمن جهتي ، لا
استطيع ان اتخلى عن وجهة نظر انانية تماماً ، والا هلكت .
برتوليه - لا بد ان نجد وسيلة نوفق بها بين جميع المصالح . ولكن ينبغي لنا
ان نقر ، اول الأمر ، ان هذه القضية تعدني نطق شواغلنا اليومية الصغيرة .
فالورين - مرة اخرى ...

برتوليه (بصوت وحركات حاسمة) - إن من حظنا ان نعيش فترة
استثنائية تحمل في ذاتها بذور حوادث هامة . إن بولدافيا التي اضمنتها الحرب
ولكنها لم تهزمها ، تجد الآن ثانية هذه المؤسسات التي اقامتها لنفسها والتي
يستحيل عليها بدونها ان تبلغ العظمة التي ننشدها جميعاً . ولكن لانفس ...
فالورين - اسمح ...

برتوليه (رافعاً صوته) - ولكن لانفس ان وطننا العزيز لا يزال في طور
التقاهة . فهل ينبغي التنبيه الى العاقبة السيئة التي ستنتج فجأة عن افشاء القضية
التي تشغلنا ؟ ان اشاعة نبأ بان زوجة قاض كبير قد ارتكبت مثل هذا الجرم ،
إهانة وإساءة الى العدل في شخص أحد قضاة . إن في ذلك مساساً بسلطة مؤسسة
قائمة . وليس لنا الحق في ذلك . فما الذي سيقال عنا في الخارج ؟
مايار - الحق انك ايها الصديق العزيز تكشف لنا بذلك عن المظهر
الرئيسي للمشكلة .

برتوليه - دون ريب ! إن واجبنا مرسوم ، ولن نقصر في القيام به .
فالورين - إن جميع هذه الحجج الجميلة التي هي زينة ضميرك لا تخلف في
نفسي اي أثر . فهل انت عازم ، ام لا ، على ان تشهد في قصر العدل باني
قضية امسية الاول من حزيران بصحبة روبرت برتوليه . ؟

برتوليه - ليس لنا الحق في ذلك .
مايار - ليس لنا الحق في ذلك .
فالورين - بعبارة اخرى ، انا باق في انتظار التنفيذ . ولا ريب ان سعادتي
كبيرة جداً اذا لم تسلماني للشرطة .
برتوليه - لقد استحققت ذلك مئة مرة ، ولكننا نحن شخصان شريهان ،

وئي نيتنا ان نقيم الدليل على براءتك .

فالورين - واي سبيل ستسلكان ؟

برتوليه - ما دمت بريئاً من الجريمة التي يتهمونك بها ، فذلك يعني ان
شخصاً آخر قد ارتكبها . فيبقى اذن ان نجد المجرم . وهذا ما سنعني به ، وحين
نضع يدنا عليه ، فستكون انت بمنجى .

فالورين - هذا جميل جداً ، ولكن متى تراكم سنكتشفون المجرم ؟ بعد
عام ، او عامين . وربما ان تكتشفوه ابداً .

برتوليه - اسمع : حين يكون العدل بحاجة الى مجرم ، لأسباب عليا ،
فاذه يجده دائماً ... ليس كذلك ، ايها النائب مايار ؟ (يتبادل الرجلان بسمه
ذات مغزى) سنقبض على المجرم قبل انقضاء ثمانية ايام ، مها حدث .

فالورين - انني اقل يقيناً منكنا .

مايار - هس ! اسمع

ضجة . لقد هادوا ليصحوونا .

اصعد بسرعة الى غرفة
الاصدقاء ...

فالورين - انظن أن ..

مايار - اصعد بسرعة .

فالورين (متناولاً

المسدس) - إن مشط

الرصاص في جيبي (يدلف

الى الرواق ، واذ يبلغ اعلى

الدرج ، يلتفت الى الرجلين)

إن الرجل الشريف هو

حقاً وحيد .



نقلها عن الفرنسية
سهيل ادريس

ستار



اسرار الحرب

١ - هتلر الغازي ، ٢ - جواسيس ، ٣ - جاسوسات
المانيات ، ٤ - هتلر حي ، ٥ - هتلر العاشق ، ٦ - أخائن
أنا ؟ بقلم الجنرال الروسي فلاسوف الذي اسره الالمان ،
ثم اشترك في الحرب الى جانبهم ضد بلاده ، ٧
- معشوقات موسوليني .

دار المكشوف ، بيروت

طبعت على :

مطبعة دار الكتب - بيروت
بناية العازارية